

مظاهر تعظيم الله في رمضان







مُقـَـدّمَة

الحمد لله العلي العظيم، قهر كل مخلوق، ودان له كل مربوب، فالكل تحت حكمه، والجميع ذليل بين يديه، العز إزاره، والكبرياء رداؤه.

لو خَطَّتْ أقلامُنا كل أوراق الدنيا ما بلغت شيئًا في بيان عظمته، ولو كان البحر مداداً لكلماته ما نفدت كلماته جل شأنه.

يحار في جميل صنعه وقَدَرِه وحكمه العارفون، خلق الإنسان فأحسن خلقه وتصويره، ثم شرع له الشرائع لتنيره، فمن استمسك بالوحي هُدي إلىٰ صراطٍ مستقيم.

لا يبلغ المادحون مثقال ذرةٍ في إيفاء حقه سبحانه، فهو جل شأنه فوق وصف الواصفين، وأعظم من مدح المادحين.

سبحانه من ربٍ قديرٍ رحيم، أكمل لعباده الدين، وأتم النعمة علىٰ العالمين، وبعث رسوله بشيراً ونذيراً بين يدي الساعة، ففرض الفرائض، وشرع الشرائع، فما من خيرٍ إلا أرشد الخلق إليه، وما من شر إلا حذر الناس منه، صلىٰ الله وسلم عليه في الأولين والآخرين، أما بعد:

فإن الإسلام مبنيٌ علىٰ فرائض معلومة هي أركانه وأسسه التي لا يقوم إلا بها، وما شُرعت العبادات كل العبادات إلا لتعظيم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ومن يتأمل أركان الإسلام وشرائعه ويُمعن النظر فيها يدرك يقينـًا ما تدعو إليه من وجوب التعظيم لله تعالىٰ، بل إن كل عبادةٍ يزداد أجرها بقدر ما يقوم بفاعلها من تعظيم الله سبحانه.

وتعظيم الله تعالىٰ من أفضل العبادات، وأَجلّ القربات التي يتعين ترسيخها في القلوب، ولها أثر كبير في تزكية النفوس، وعلىٰ قدر العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله يكون التعظيم، وقد ذمَّ سبحانه من لم يعظمه حق عظمته ومن لم يعرفه حق معرفته فقال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (نوح: ١٣).

وإن من شرع الله وحكمه أن خصص بعض الأماكن والأزمنة بمزيد فضل، فضاعف فيها الأجر علىٰ العمل وحباها بمزيد تعظيمٍ وإجلال تبعـًا لتعظيمه وإجلاله.

ومن الأزمنة الفاضلة « شهر رمضان المبارك »، فهو خير الشهور وسيدها، فيه الأعمال والحسنات تُضاعف، وفيض الرحمة الربانية والمنح الإلهية ينتشر ليعمَّ الكون برحمة الله وسعة غفرانه والعتق من نيرانه.

لذلك فقد شرع الله تعالىٰ في رمضان عباداتٍ كثيرة ليزداد المسلم قربـًا من مولاه، ومدار هذه العبادات علىٰ «تعظيم الله سبحانه».

وإذا أمعنا النظر فيما شرعه الله في رمضان من عبادات، وفيما يحتف بهذا الشهر من فضائل، علمنا يقينـًا أن شهر رمضان ليس

إلا شهر تعظيم وإجلال لله عَزَّوَجَلَّ وفي هذا الكتاب الذي بين يديك بعد الاستعانة بالله والتوكل عليه لا سواه تم جمع بعض مظاهر تعظيم الله في رمضان، وذلك في خمسة جوانب، وكل واحدٍ منها حرصنا أن نبين ما فيه من فضائل ومظاهر لتعظيم الله جل شأنه.

وهذا الذي بين يديك هو محاولة لإظهار دور العبادات في غرس تعظيم الله تعالىٰ في النفس، وهي باكورة لسلسلة نرجو أن ترىٰ النور قريباً - بإذن الله-، حيث أن العزم قائم علىٰ الكتابة في هذا الجانب في مختلف أركان الإسلام والعبادات المشروعة.

إذ أن ذلك هو المقصود الأعظم للتشريع، قال الله تعالىٰ: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ التَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ (الحج : ٣٧).

وإننا نرجو الله أن يعيننا علىٰ ذلك، وأن نكون قد وُفقنا فيما كتبنا في هذا المؤلف، وجلَّ من لا يخطئ سبحانه، فإن كان من خطأٍ وزلل فمنا والشيطان، وإن كان من توفيق فمن الله وحده.

والحمد لله أولاً وآخراً.

مشروع تعظيم الله

مظاهر تعظيم الله في رمضان

تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ هو أعظم وسيلة توصل إلىٰ سعادة الفرد والأسرة والمجتمع بل إلىٰ سعادة البشرية كلها في الدنيا والآخرة.

بل إنَّ تعظيمه سبحانه أساس السعادة، وكيف يسعد قلب لا يعظم ربه وخالقه وسيده ومولاه.

ومن عظّم الله عرف أحقية الله عَزَّوَجَلَّ بالذل والخضوع والخشوع والانكسار، وعظّم شرعه وعظّم دينه وعرف مكانة رسله. وهذا التعظيم لله سبحانه يعد أساسا متينا يقوم عليه دين الإسلام.

ومن أسماء ربنا الحسنىٰ (**العظيم**)، وهو جَلَّوَعَلَا عظيم في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، عظيم في كلامه وفي وحيه وشرعه وتنزيله، بل لا يستحقّ أحدٌ التّعظيم والتمجيد غيره، فيجب علىٰ العباد أن يعظّموه بقلوبهم وألسنتهم وأعمالهم، وذلك ببذل الجهد في معرفته ومحبّته والذّل له والخوف منه، ومن تعظيمه سبحانه أن يطاع فلا يُعصىٰ ويُذكر فلا يُنسىٰ ويُشكر فلا يُكفر، ومن تعظيمه وإجلاله أن يخضع لأوامره وشرعه وحكمه، وأن لا يُعترض علىٰ شيء من شرعه.

والأصل أن يكون تعظيم الله في كل مكان وزمان، والله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ عظّم بعض الأزمنة كرمضان وعشر ذي الحجة ويوم الجمعة وليلة القدر والأشهر الحرم عن غيرها من الأزمنة، وتعظيم هذه الأزمنة من تعظيم الله، كما أن الله عظّم بعض الأمكنة مثل المساجد عموماً والحرمين الشريفين والمسجد الأقصىٰ خصوصاً، وتعظيم هذه الأمكنة من تعظيم الله.

أخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن قتادة بن دعامة من أئمة التابعين قال: (**إن الله اصطفىٰ صفايا من خلقه، اصطفىٰ من الملائكة رسلاً، ومن الناس رسلاً، واصطفىٰ من الكلام ذِكْره، واصطفىٰ من الأرض المساجد، واصطفىٰ من الشهور رمضان، واصطفىٰ من الأيام يوم الجمعة، واصطفىٰ من الليالي ليلة القدر، فعظِّموا ما عظَّم اللهُ، فإنما تعظُم الأمورُ لما عظَّمها الله تعالىٰ به عند أهل الفهم والعقل**).

وقَالَ الْعِزُّ بن عبد السَّلام: (فصلٌ في تفاوت الأعمال مع تساويها باختلاف الأماكن والأزمان: اعلم أن الأماكن والأزمان كلها متساوية، ويفضلان بما يقع فيهما لا بصفاتٍ قائمةٍ بهما، ويرجع تفضيلهما إلىٰ ما يُنيل اللهُ العبادَ فيهما من فضله وكرمه... وتفضيلُ الأماكن والأزمان ضربان:

أحدهما: دنيوي كتفضيل الربيع علىٰ غيره من الأزمان.

الضرب الثاني: تفضيلٌ دينيٌ راجع إلىٰ أن الله يجود علىٰ عباده



فيهما بتفضيل أجر العاملين، كتفضيل صوم رمضان علىٰ صوم سائر الشهور، وكذلك يوم عاشوراء وعشر ذي الحجة، ويوم الاثنين والخميس وشعبان وستة أيام من شوال، فضلها راجعٌ إلىٰ جود الله وإحسانه إلىٰ عباده فيها، وكذلك فضلُ الثلث الأخير من كل ليلة راجعٌ إلىٰ أن الله يعطي فيه من إجابة الدعوات والمغفرة، وإعطاء السؤال ونيل المأمول ما لا يعطيه في الثلثين الأولين).

وحديثنا هنا حول مظاهر تعظيم الله في شهر رمضان، وسيكون محور الحديث حول خمسة أمور تعظيمها في هذا الشهرمن تعظيم الله وهي:

١/ تعظيم القرآن.

٢/ تعظيم السنة.

٣/ تعظيم النصوص الشرعية.

٤/ تعظيم شهر رمضان.

٥/ تعظيم ليلة القدر.



أولاً: تعظيم القرآن الكريم

اختص الله شهر رمضان بخصائص ليست في غيره، كانت سببًا لزيادة تعظيم الله فيه، ومن هذه الأسباب نزول القرآن الكريم فيه كما قال تعالىٰ: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة : ١٨٥). وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر: ١).

وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وصف القرآن بالعظيم في آيات عدة منها قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (الحجر:٨٧). وهذا يتضمن عظمة قَدْرِهِ وَعَظَمَةَ صفاته وعظمة من أنزله.

وتعظيم القرآن يشمل جميع الجوانب، العقدية والعملية والعلمية.

ثبت في صحيح مسلم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن تميم الداري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: «**الدين النصيحة قلنا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم**» (رواه مسلم).

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : (قال العلماء رحمهم الله: النصيحة

لكتاب الله تعالىٰ: هي الإيمان بأنه كلام الله تعالىٰ، وتنزيله لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر علىٰ مثله الخلق بأسرهم ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته وتحسينها والخشوع عندها وإقامة حروفه في التلاوة والذب عنه لتأويل المحرفين وتعرض الطاغين والتصديق بما فيه والوقوف مع أحكامه وتفهم علومه وأمثاله والاعتناء بمواعظه والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه، والتسليم بمتشابهة والبحث عن عمومه وخصوصه وناسخه ومنسوخه ونشر علومه والدعاء إليه وإلىٰ ما ذكرناه من نصيحته).

وتعظيم كتاب الله تعالىٰ، من تعظيم الله عَزَّوَجَلَّ وتوقيره وإجلاله وتقديره.

وإن من أرفع مقامات الأدب مع الله أن تعظِّم كلامه وتُجِلَّه وتُكرمه؛ لأن فضل كلام الله علىٰ كلام غيره كفضله هو سبحانه علىٰ جميع خلقه، وعلىٰ قدر عظمة القائل يكون تعظيم الكلام.

تعظيم السلف الصالح للقرآن:

والمتتبع لحال السلف الصالح يرىٰ عجبًا في تعظيمهم لكتاب الله فلقد كان الصحابة ومن بعدهم من السلف الصالح يُجلُّون القرآن ويعظِّمونه بينهم.

ذكر القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره عن عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال: (عظِّموا القرآن).

ومن الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم من لا يقطع قراءته للقرآن مهما كان الحال، كما ورد عن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: خرَجنا معَ رسولِ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يَعني في غزوةِ ذاتِ الرِّقاعِ - فأَصابَ رجلٌ امرأةَ رجلٍ منَ المشرِكينَ فحلَفَ أن لا أنتَهيَ حتَّىٰ أُهَريقَ دمًا في أَصحابِ محمَّدٍ، فَخرجَ يتبعُ أثرَ النَّبيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فنزَلَ النَّبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منزلًا، فقالَ : مَن رجُلٌ يَكْلؤُنا ؟ فانتَدبَ رجلٌ منَ المُهاجرينَ ورجُلٌ منَ الأنصارِ، فقالَ : كونا بفَمِ الشِّعبِ، قالَ : فَلمَّا خرجَ الرَّجُلانِ إلىٰ فَمِ الشِّعبِ اضطجعَ المُهاجريُّ، وقامَ الأنصاريُّ يصلِّي، وأتىٰ الرَّجلُ فلمَّا رأىٰ شخصَهُ عرفَ أنَّهُ ربيئةٌ للقومِ، فرماهُ بسَهْمٍ فوضعَهُ فيهِ فنزعَهُ، حتَّىٰ رماهُ بثَلاثةِ أسهمٍ، ثمَّ رَكَعَ وسجدَ، ثمَّ انتبَهَ صاحبُهُ، فلمَّا عرفَ أنَّهُم قد نذَروا بِهِ هربَ، ولمَّا رأىٰ المُهاجِريُّ ما بالأنصاريِّ منَ الدَّمِ، قالَ : سُبحانَ اللهِ ألا أنبَهْتَني أوَّلَ ما رمىٰ، قالَ : كنتَ في سورةٍ أقرَؤُها فلَم أحبَّ أن أقطعَها (رواه أبو داود وحسنه الألباني).

وبعضهم كان يلبس أحسن الثياب عند قراءة القرآن، فهذا أبو العالية رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا قرأ القرآن اعتمَّ ولبِس رداءه، واستقبل القبلة، وكان يكره أن يُقال: سورة صغيرة؛ لأن القرآن كله عظيم ولا صغير فيه.

ولما رأىٰ عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابنًا له يكتب القرآن علىٰ حائط ضربه؛ لأن هذا ليس من التعظيم.

وهذا مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إذا تثاءبتَ وأنت تقرأ القرآن، فأمسكْ عن القرآن العظيم حتىٰ يذهب تثاؤبك.

وقال أبو عبيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وهذا كالرجل يريد لقاء صاحبه، أو يهم بالحاجة، فتأتيه من غير طلب، فيقول كالمازح: (جئت علىٰ قدر يا موسىٰ) وهذا من الاستخفاف بالقرآن.

ويقول الإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أجمع المسلمون علىٰ وجوب تعظيم القرآن علىٰ الإطلاق وتنزيهه وصيانته وأجمعوا علىٰ أن من جحد منه حرفًا مما أجمع عليه أو زاد حرفًا لم يقرأ به أحد وهو عالم بذلك فهو كافر).

قال القاضي عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (من استخفَّ بالقرآن أو بالمصحَف أو بِشيءٍ منه فهو كافِرٌ بإجماعِ المسلِمين).

ولقد شَهِد الأعداء بعظمةِ القرآنِ وسموِّ معانيه، كما ذكر ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في البداية والنهاية عن عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، أن الوليد بن المغيرة جاء إلىٰ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقرأ عليه

القرآن، فكأنه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه فقال: يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا.

قال: لِمَ؟

قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض ما قبله.

قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا.

قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له.

قال: وماذا أقول؟ فو الله ما منكم رجل أعرف بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه، ولا بقصيده مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله أن لقوله الذي يقوله حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو ولا يعلىٰ، وإنه ليحطم ما تحته.

قال: لا يرضىٰ عنك قومك حتىٰ تقول فيه.

قال: قف عني حتىٰ أفكر فيه، فلما فكر.

قال: إن هذا إلا سحر يؤثر يأثره عن غيره، فنزلت: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدا * وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودا * وَبَنِينَ شُهُودا﴾ (المدثر: ١١-١٣).

ويخبر الربُّ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عن عَظمةِ القرآنِ وجَلاله، وأنّه لو خوطِب به صُمُّ الجبال لتصدَّعت من خَشيةِ الله: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١].

ولو قارنًّا واقع بعض المسلمين اليوم مع القرآن وتعظيمه، لرأينا صورًا كثيرة من الاستخفاف أو عدم التعظيم؛ فالبعض يمدُّ قدمَه تجاه المصحف، والآخر يجلس علىٰ كرسي والمصحف تحته، وثالث يسند ظهره إلىٰ المصحف، والبعض يفترش أوراق الصحف المليئة بآيات القرآن فيجعلها سفرة للطعام، ولا ينبغي امتهان أو استصغار أو احتقار القرآن ولا آية منه.

ونحن اليوم في أمسِّ الحاجة إلىٰ تعظيم القرآن في القلوب في رمضان خاصة وفي باقي السنة عامة.

كيف يكون تعظيم القرآن الكريم:

يكون تعظيم القرآن بعدة أمور منها:

١/ استحضار أن المتكلم به هو جبار السموات والأرض جَلَّجَلَالُهُ، لا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر علىٰ مثله الخلق بأسرهم، ولذلك تحداهم الله أن يأتوا بمثله أو بعشر سور أو بسورة.

٢/ اعتقاد كماله وتمامه وأنه لا نقص فيه ولا اختلاف ولا اضطراب، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لا رَيْبَ فِيهِ هُدًىٰ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة:٢]، واعتقاد شموله وعمومه بحيث لا تنزل بالناس نازلة إلا وفي كتاب الله دليل علىٰ سبيل الهدىٰ فيها، كما قال تعالىٰ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل:٨٩].

٣/ تعظيم النبي ﷺ الذي نزل عليه القرآن الكريم في شهر رمضان.

٤/ التحاكم إليه في كل صغيرة أو كبيرة، وعدم الاعتراض أو المجادلة في شيء منه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: من الآية ٣٦]، ولا يتحاكم إلىٰ ما عارضه في كثير أو قليل ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ [الجاثية:١٨].

٥/ الحذر كل الحذر من هجر للقرآن، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَارَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠]، وقد ذكر ابن القيم أن هجر القرآن يكون علىٰ أنواع منها: هجر تلاوته وهجر تدبره وهجر العمل به وهجر تحكيمه وهجر الاستشفاء به.

٦/ حُسنِ التلاوة وإقامةِ حروفِه وحدودِه وتعظيمِ شأنِه والسَّير علىٰ منهاجِه، وتصديقِ الأخبارِ وامتثال الأوامِرِ واجتِنابِ النّواهي، قال تعالىٰ: ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ص:٢٩]. فتعظيمَ كلام الله لَيس بتَزيينِه وتفخِيمِ طِباعته وكاتبتِه، وليسَ بتعليقِه علىٰ جُدرانِ البيوت، وليس بقراءتِه علىٰ الأمواتِ كما يفعل البعض.

٧/ أن لاَ يقرَأَه المسلم وهو جنُب، وأن لا يمَسَّ المصحفَ إلاّ علىٰ طَهارة؛ لأنَّ النبيَّ ﷺ كتَب إلىٰ عمرو بنِ حزم رَضِوَٱللَّهُعَنهُ أن: (لا يمسَّ القرآنَ إلاّ طاهِر) (صحيح الجامع).

٨/ عدم الكلامُ فيه بِغير عِلم، أو تفسيره بالظن، أخرَج أحمد والترمذيّ وحسَّنه عن سَعيد بن جبير رَحِمَهُٱللَّهُ عن ابنِ عباسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا عن النّبيِّ ﷺ قال: (اتَّقوا الحدِيثَ عنّي إلاّ ما علِمتم، فمن كذَب عليَّ متعمِّدًا فليتَبوَّأ مقعدَه من النار، ومَن قال في القرآنِ برأيِه فليتبوَّأ مقعدَه من النار).

ويقول الإمام النوويّ رَحِمَهُٱللَّهُ: (ويحرُم تفسيرُه بغيرِ علمٍ

والكلامُ في معانيه لمن لَيس من أهلِها، والأحاديثُ في ذلك كثيرةٌ، والإجماعُ منعقِد عليه، أمّا تفسيره للعلماء فجائِزٌ حسَن، والإجماع منعقِد عليه).

٩/ إحضارُ القارئِ قلبَه في القراءة والتفكّرُ فيها، روَىٰ البخاريّ عن أبي سعيدٍ الخدريّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنه قال: سَمعت رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: (يَخْرُجُ فِيكُمْ قَوْمٌ تَحْقِرُونَ صَلاتَكُمْ مع صَلاتِهِمْ، وصِيامَكُمْ مع صِيامِهِمْ، وعَمَلَكُمْ مع عَمَلِهِمْ، ويَقْرَؤُونَ القُرْآنَ لا يُجاوِزُ حَناجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كما يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ).

١٠/ تنظيفُ الفم لأجلِ القراءة بالسِّواك والمضمَضة، روىٰ البخاريّ عن أبي هريرة رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: (لَوْلَا أنْ أشُقَّ علَىٰ أُمَّتي أوْ علَىٰ النَّاسِ لَأَمَرْتُهُمْ بالسِّوَاكِ مع كُلِّ صَلَاةٍ.)، وظاهِرُ هذا أنّه كان يفعَل هذا للصّلاة وقِراءةِ القرآن.

١١/ كراهيةُ قَطع القراءةِ لكلام الناس، فلا يَنبغي أن يؤثِرَ كلام الناس علىٰ قراءةِ القرآن، روَىٰ البخاريّ عَن نافع رَحِمَهُٱللَّهُ قال: (كانَ ابنُ عُمَرَ رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا: إذَا قَرَأَ القُرْآنَ لَمْ يَتَكَلَّمْ حتَّىٰ يَفْرُغَ منه) رواه البخاري.

١٢/ تلقِّي القرآن من العدولِ العلماء بما أخَذوا وبما يؤدُّونَه، روىٰ مسلم عن أنس بن مالك رَضِوَاللَّهُعَنْهُ أنَّ رسول الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قالَ لأبيّ رَضِوَاللَّهُعَنْهُ: (إنَّ اللهَ أمرني أن أقرَأ عليك القرآنَ)، قال: الله سمّاني لك؟! قال: (الله سمّاك لي)، قال: فجعل أبيّ يبكِي.

١٣/ تركُ المماراةِ في القرآنِ، روَىٰ البخاريّ عن جندب بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عنِ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (اقْرَؤُوا القُرْآنَ ما ائْتَلَفَتْ قُلُوبُكُمْ، فإذا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عنْه.)، وروىٰ مسلم عن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: هَجَّرت إلىٰ رسول الله يومًا قال: فَسَمِعَ أَصْوَاتَ رَجُلَيْنِ اخْتَلَفَا في آيَةٍ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يُعْرَفُ في وَجْهِهِ الغَضَبُ، فَقالَ: إنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ، باخْتِلَافِهِمْ في الكِتَابِ).

١٤/ عدمُ السّفر بالقرآنِ إلىٰ أرضِ العدوّ، فقد روىٰ البخاريّ ومسلِم عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: نهىٰ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يُسافرَ بالقرآنِ إلىٰ أرضِ العدوّ، وروىٰ مسلم عَن أيّوب عن نافعٍ عن ابنِ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لا تُسافِرُوا بالقُرْآنِ، فإنِّي لا آمَنُ أنْ يَنالَهُ العَدُو)، قال النوويّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «النهيُ عن المسَافرةِ بالمصحَفِ مخافةَ أن يَنالَه العدوّ فينتهِكوا حرمتَه، فإذا أُمنَت العِلّة فلا كراهةَ ولا مَنعَ منه».

١٥/ المحافظةُ علىٰ الكُتبِ العامّة والكتب المدرسيّة والصّحُف التي تشتمِل علىٰ آياتٍ من القرآنِ الكريمِ في غِلافها أو داخِلها، والملاحظ علىٰ بعضَ المسلمين هداهم الله حينما يقرؤون تلك الكتُب والصّحفَ وينتهون منها يُلقونها، فتجمَع مع القمائم وتوطَأ بالأقدام، بل قد يستَعمِلها بعضهم سُفرةً لطعامه ثم يرمِي بها في النفايات مع النّجاسات والقاذورات، ولا شكَّ أن هذا امتهانٌ لكتابِ الله العظيم وكلامِه المبين.

١٦/ ومِن تعظيم كلام الله أن يُرفَعَ فلا يوضَع في الأرض، لا سيما في الأرض التي ليسَت محترَمة، فإنَّ وضعَه في أرضٍ ليست محترمَةً يدلّ علىٰ عَدمِ مُبالاة الواضِع به.

١٧/ ومِن تعظيمِ القرآن أن لا تمدَّ إليه رجلَيك، وأن لا تولّيَه ظهرَك، وألا تأخذه بيدك اليسرىٰ إلا لضرورة.

١٨/ ومن تعظيم القرآن المنافحةُ عَنه وعدَم السكوتِ علىٰ من يتهَجَّم علىٰ القرآن أو يستهزِئ به.

١٩/ ومن تعظيمه: أن يكون للمسلم ورد ثابت يقرأه يومياً ويكحل عينيه برؤية كلام ربه ويجد في قراءته راحة قلبه.

٢٠/ ومن تعظيمه: العناية بدراسته وتفسيره وتدبّر آياته والالتزام بأحكامه والانتفاع بآدابه ومواعظه.

٢١/ ومن تعظيمه: العناية بترجمة معانيه إلىٰ اللغات المختلفة، ترجمةً دقيقةً من أهل العلم والاختصاص.

٢٢/ ومن تعظيمه: العناية بتحفيظه وتعليمه، وتطوير آليات التعليم والتدريس لتكون وسيلة لترسيخ الاهتمام به وبعلومه.





ثانياً: تعظيم السنة

من مظاهر تعظيم الله في شهر رمضان تعظيم السنة، والمتتبع لحال الكثير من الناس في رمضان يرىٰ حرصهم علىٰ تتبع السنة في أمور كثيرة، منها الحرص علىٰ التبكير بالإفطار والإفطار علىٰ رطب، وتأخير السحور، ومحاولة التقيد بعدد الركعات في صلاة التروبح، وغير ذلك مما يدل علىٰ تعظيم السنة.

قال تعالىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللهَ كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٢١)

والسنة عظيمة كما أن القرآن الكريم عظيم، إذ كلاً منهما وحي من الله تعالىٰ كما قال سبحانه: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [سورة النجم::٣-٤].

وهكذا طاعة رسول الله ﷺ عظيمة، كما أن طاعة الله جَلَّ جَلَالُهُ عظيمة، فمن لم يطع رسول الله لم يطع الله ومن أطاعه فقد أطاع الله والدليل علىٰ ذلك قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ (النساء: ٨٠).

تعظيم السلف للسنة:

كان السلف الصالح عن السُنة منافحين ولها حامين، فإذا رأوا أحدًا يعارضها أو يستهزئ بشيءٍ منها - قصدًا أو بغير قصد - وبَّخُوه وقرَّعوه وزجروه ثم هجروه، لا يكلمونه ولا يساكنونه، وقد يقيم عليه الحاكم حد التعزير فيضرب أو يقتل رِدَّةً أو تعزيرًا.

قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لستُ تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، وإني لأخشىٰ إن تركتُ شيئًا من أمره أن أزيغ).

وكان عبدالله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: (حَدَّثَنَا رسول الله ﷺ وهو الصادق المصدوق)، تعبيرًا عن تعظيمه لسنة المصطفىٰ ﷺ.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: (لا رأيَ لأحد مع سُنةٍ سنَّها رسول الله ﷺ).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ: (من ردَّ حديثَ النبي ﷺ، فهو علىٰ شفا هلَكَة).

ولَمَّا طاف معاذ بالبيت وجعل يستلم الأركان كلها، قال له ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لا، إنما هو اليماني، قالوا: ليس بالبيت شيءٌ مهجور، قال: إن الله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، وما رأيت النبي إلا استلم الركنين، قال معاذ: صدقت، وترَك الاستلام.

ومن تعظيم رسول الله تعظيم سنته وتوقيرها والعمل بما فيها، قال جَلَّ جَلَالُهُ:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].



كيف يكون تعظيم السنة:

١/ الاقتداء بما ورد عن النبي ﷺ، في كل صغيرة وكبيرة من أعماله وأقواله غير الجبلية كهيئة نومه مثلا قبيل صلاة الفجر وكهيئة مشيته إذ قد يكون ذلك من التكلف الظاهر إن لم يكن في ذلك حكمة ظاهرة أو فائدة صحية مقررة، ومن ذلك الاقتفاء بآثاره في أماكن جلوسه أو سيره فلا يسن، وقد اجتهد في ذلك ابن عمر رضي الله عنه ولكن الصحابة لم يوافقوه في هذا، وقد قال أبو بكر رضي الله عنه: (إِنِّي أَخْشَىٰ إِن تركت شَيْئا من أمره أَن أزيغ). ولذلك أنفذ جيش أسامه مع أن كثيراً من العرب ارتدوا وجاءوا بثقل مفاجئ بأمن المدينة.

وإن أعظم وأكبر الشواهد علىٰ تعظيم مقام النبي ﷺ وتمكن حبه في القلوب هو اتباع سنته الشريفة ظاهراً وباطنـاً، ولزوم طاعته علىٰ الدوام وفي كل الأحوال، فلا دليل أدل علىٰ التعظيم والحب من هذا الاتباع المبارك واللزوم للسنة النبوية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠].

وإن اتباع سنة النبي ﷺ في كل الأحوال هو حقيقة وأساس التعظيم والإجلال للنبي ﷺ وأقواله وأفعاله، وهو الحب الحقيقي الصادق الذي يفضح كل ادعاء وكلما كان العبد معظمـاً

للسنة النبوية متبعـًا الهدي النبوي عامراً ظاهره وباطنه بالتأسِّي بالنبي ﷺ كان أعظم توفيقـًا وتسديداً وكان أسلم الناس رأيـًا وقولاً وفعلاً ومنهجـًا.

٢/ تقديم أوامره ﷺ علىٰ أي أوامر أخرىٰ لأحد من الناس لقوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة الحجرات: ١].

٣/ طاعته ﷺ أتم الطاعة وعدم مخالفته ولو يكلفهم ذلك ما يكلفهم، كما قال تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة النور: ٦٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [سورة الأحزاب:٣٦].

٤/ محبته أكثر من محبة النفس، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا يؤمن أحدكم حتىٰ أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين) (رواه البخاري)، فالرسول ﷺ يستحق المحبة العظيمة بعد محبة الله عز وجل كيف لا وهو من أرانا الله به طريق الخير من طريق الشر، وهو من عرفنا بالله عز وجل، وهو من بسببه اهتدينا إلىٰ الإسلام، أفيكون أحد أعظم محبة بعد الله منه؟.

وروىٰ الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب رضي الله عنه،

فقال له عمر: يا رسول الله، لأنت أحب إليَّ من كل شيء إلا من نفسي، فقال النبي ﷺ: (لا والذي نفسي بيده، حتىٰ أكون أحب إليك من نفسك)، فقال له عمر: فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي، فقال النبي ﷺ: (الآن يا عمر)، قال ابن حجر: أي الآن عرَفت، فنطَقت بما يجب.

وورد عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رجلاً سأل النبي ﷺ: يا رسول الله، متىٰ الساعة؟ فأعرض عنه النبي ﷺ ثم عاد إليه، فقال: ما أعددتَ لها؟ قال: حب الله ورسوله، فقال: (فإنك مع من أحببتَ) (رواه مسلم).

وفي الرواية الأخرىٰ قال أنس رضي الله عنه: (ما فرِحنا بعد الإسلام فرحًا أشد من قول النبي ﷺ: (إنك مع مَن أحببت)، فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر، فأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم).

ومما يدل علىٰ محبة الصحابة رضوان الله عليهم للنبي ﷺ أنه عندما سئل علي بن طالب رضي الله عنه كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ فقال: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وأبنائنا وأمهاتنا، ومن الماء البارد علىٰ الظمأ).

وفي قصة قتل زيد بن الدثنة رضي الله عنه، قال ابن إسحاق: اجتمع رهط من قريش، فيهم أبو سفيان بن حرب، فقال له أبو سفيان حين قُدِّم ليُقتل: أنشدك الله يا زيد، أتحب أن محمدًا عندنا الآن

في مكانك نضرِب عُنقه، وأنك في أهلك؟ قال: والله ما أحب أن محمدًا الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه، وأني جالس في أهلي، قال: يقول أبو سفيان: ما رأيت من الناس أحدًا يحب أحدًا، كحب أصحاب محمد محمدًا.

وأخرج الطبراني وحسنه عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: جاء رجل إلىٰ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: (يا رسول الله، إنك لأحب إلي من نفسي، وإنك لأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتىٰ آتي، فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك، عرَفت أنك إذا دخلت الجنة رُفِعت مع النبيين، وأني إذا دخلت الجنة، خشيت ألا أراك، فلم يرد عليه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شيئًا حتىٰ نزل جبريل بهذه الآية: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِمْ مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

وأخرج ابن إسحاق عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: مر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بامرأة من بني دينار وقد أصيب زوجها، وأخوها، وأبوها مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأُحد، فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قالوا: خيرًا يا أمَّ فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أَرونيه؛ حتىٰ أنظر إليه.

قال: فأُشير لها إليه، حتىٰ إذا رأته قالت: كل مُصيبة بعدك جَلل.

ومحبة الرسول ﷺ تعني إيثار حبّه علىٰ حب النفس، ممّا يدفع المسلم لجعل همه وفكره منشغلان بما يُرضي الله ورسوله ﷺ من أقوالٍ وأفعالٍ، لذلك كانت محبة الرسول ﷺ من أَجَلِّ وأرفع أعمال القلوب، وأصلٌ عظيمٌ يتوقف علىٰ وجوده كمال الإيمان.

ومن هنا ذكر العلماء أن محبة النبي ﷺ علىٰ ضربين:

أحدهما: فرض، وهو المحبة التي تقتضي الإيمان بنبوته، وبعثته، وتلقي ما جاء به بالمحبة والقبول، والرضا والتسليم.

ودرجة ثانية هي: محبة مندوبة، وهي تقصي أحواله ومتابعة سنته، والحرص علىٰ التزام أقواله وأفعاله قدر المستطاع والجهد والطاقة.

ومن الأدلة كذلك: قول النَّبِيِّ ﷺ: (ثلاثٌ من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان، من كان الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه، كما يكره أن يقذف في النار) متفق عليه.

يقول شيخ الإسلام -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ-: (إن حلاوة الإيمان لا توجد إلا بتكميل هذه المحبة بثلاثة أمور، حتىٰ يجد المسلم حلاوة الإيمان، فإيمان بعض المسلمين بارد، ولذلك لا يستشعرون له طعماً ولا مذاقاً، ولا يحسون به وجوداً مطلقا، وذلك لأنهم فقدوا حلاوة هذا الإيمان وطلاوته).

ومن الأدلة كذلك قوله ﷺ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَآنِي بِأَهْلِهِ وَمَالِهِ» رواه مسلم.



ثالثاً:
تعظيم النصوص الشرعية

ورد عن كريب أن أم الفضل بنت الحارث رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بعثته إلىٰ معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالشام، قال: فقدمت الشام فقضيت حاجتها، واستهل عليَّ رمضان وأنا بالشام، فرأيت الهلال ليلة الجمعة، ثم قدمت المدينة في آخر الشهر، فسألني عبد الله بن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم ذكر الهلال، وقال: متىٰ رأيتم الهلال؟ فقلت: رأيناه ليلة الجمعة، فقال: أرأيته؟ قلت: نعم، ورآه الناس وصاموا وصام معاوية؛ فقال: لكننا رأيناه ليلة السبت، فلا نزال نصوم حتىٰ نكمل ثلاثين، أو نراه؛ فقلت: ألا نكتفي برؤية معاوية وصيامه؟ فقال: لا، هكذا أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. (رواه مسلم).

المتأمل في هذا الحديث يرىٰ كيف يُعظّم ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا النص الشرعي المتعلق برؤية هلال رمضان بقوله: (هكذا أمرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، والناظر في حياة السلف الصالح يرىٰ عجباً في تعظيمهم للنصوص الشرعية، قياساً لبعض الناس في هذا الزمن، والذين لا يقيمون وزناً للنصوص الشرعية، إما بتقديم العقل عليها، أو بأخذ ما يوافق هواهم ورد ما يخالفه.

فمن تمامِ عبوديةِ الخلقِ لربِّهم عَزَّوَجَلَّ تعظيمُهم للوحيينِ:

الكتابِ والسنَّةِ؛ إذ عليهما مدارُ التكليفِ، وهما مصدرُ التشريعِ، وحصولُ خللٍ في تعظيمِهما يُورثُ قصورًا في اتِّباعِهما، وانحرافًا عن تحقيقِ مقاصدِهما.

والنصوص الشرعية هي نصوص الكتاب والسنة، فالكتاب كلام الله عَزَّوَجَلَّ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه،

وهو كما جاء في أثر علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: إن كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم، وخبر ما بعدكم، وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغىٰ الهدىٰ في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم والصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق عن كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، وهو الذي لم تنه الجن إذ سمعته حتىٰ قالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ (الجن: ١،٢)، من قال به صدق، ومن عمل به أجر، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هدي إلىٰ صراط مستقيم.

وأما السنة فهي سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سواء أكانت قولية أو فعلية أو تقريرية.

كل هذه من سنته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي يجب تعظيمها التعظيم اللائق بها.

وتعظيم الرب تعالىٰ وتمجيده مستلزم لتعظيم أحكامه ونصوص شرعه من القرآن والسنة قال الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

(أول مراتب تعظيم الحق عَزَّوَجَلَّ تعظيم أمره ونهيه، وذلك لأن المؤمن يعرف ربه عَزَّوَجَلَّ برسالته التي أرسل بها رسول الله إلىٰ كافة الناس ومقتضاها الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله عَزَّوَجَلَّ واتباعه وتعظيم نهيه واجتنابه فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله ونهيه دالاً علىٰ تعظيمه لصاحب الأمر والنهي ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة والبراءة من النفاق الأكبر).

والمراد بتعظيم النصوص الشرعية: اعتقاد أنها حق، والعمل بما دلت عليه، بأن يمتثل العبد ما أمرت به، وينتهي عما نهت عنه، ويقدم النصوص الشرعية علىٰ ما تهواه نفسه وولده والناس أجمعون.

ففي الصحيحين عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال: قال رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لا يُؤمِنُ أَحَدُكم، حتىٰ أكونَ أَحَبَّ إليه مِن وَلَدِه ووالِدِه والنَّاسِ أجمَعينَ) (رواه مسلم).

وهذا يقتضي تقديم ما يحبه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ علىٰ ما تحبه النفس، وعلىٰ ما يحبه الولد، وعلىٰ ما يحبه الوالدين، والناس أجمعين.

ومن تعظيم النصوص الشرعية أن يكون هوىٰ العبد تبعا للنص الشرعي، فيميل معه النص حيث مال، ويترك هواه المخالف للنص.

وهذا التعظيم للنصوص الشرعية يدل علىٰ محبة خالصة صادقة لله تعالىٰ ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

تعظيم السلف للسنة:

الأدلة من الكتاب والسنة علىٰ تعظيم النصوص الشرعية:

من الأدلة علىٰ وجوب تعظيم النصوص الشرعية غير ما تقدم:

قَول الله عَزَّوَجَلَّ : ﴿فَلَا وَرَبك لَا يُؤمنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوك فِيمَا شجر بَينهم ثمَّ لَا يَجدوا فِي أنفسهم حرجا مِمَّا قضيت ويسلموا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥)

فنفىٰ سُبۡحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ الْإِيمَان عَمَّن لم يُحكِّم رَسُوله فِيمَا وَقع التَّنَازُع فِيهِ وَلم يستسلم لقضائه.

وَقَالَ عَزَّوَجَلَّ ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾ (النور: ٥٤)، فضمن الْهِدَايَة سُبْحَانَهُ فِي طَاعَة رَسُوله وَلم يضمنهَا فِي طَاعَة غَيره.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٨٠)، فرتب جَلَّوَعَلَا الفوز العظيم علىٰ طاعة الله تعالىٰ وطاعة رسوله ﷺ.

وأوعد علىٰ مُخَالفَته قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣) وهذا وعيد شديد علىٰ من يخالف أمر الله أو أمر رسوله ﷺ، بأن تصيبه الفتنة، وهي الشرك كما قال الإمام أحمد: عجبت لقوم

عرفوا الإسناد وصحته، ويذهبون إلىٰ رأي سفيان، والله تعالىٰ يقول: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (النور:٦٣) أتدري ما الفتنة؟ الفتنة الشرك، لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك.

وَقَالَ تَعَالَىٰ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَىٰ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِن أَمرِهِم وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ (الأحزاب:٣٦)

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ إلىٰ قوله: ﴿فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. (الأعراف: ١٥٦،١٥٧).

وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾(الأنفال:٢٠).

وقال تعالىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ (الحشر:٧).

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام:١٥٣).

وقال تعالىٰ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء:٥٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: (دَعُونِي ما تَرَكْتُكُمْ، إنَّما هَلَكَ مَن كانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلَافِهِمْ علَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عن شيءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وإذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا منه ما اسْتَطَعْتُم). رواه البخاري.

ولا شك أن معارضة النصوص الشرعية بغير حجة ولا برهان دليل علىٰ ضعف التعظيم لها.

وروىٰ الحاكم أنه ﷺ قال: (إني تاركٌ فيكم ما لن تضلوا إن اعتصمتم به، كتابَ اللهِ، وسنتِي) [قال ابن باز: أخرجه الحاكم بسند جيد. المصدر : مجموع فتاوىٰ ابن باز.

وعن أبي نجيحٍ العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلّىٰ بنا رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ ثم أقبل علينا فوعظَنا موعظةً بليغةً ذرَفتْ منها العيونُ ووجِلتْ منها القلوبُ، فقلنا : يا رسولَ اللهِ كأنها موعظةُ مُودِّعٍ فأوصِنا، قال: أُوصيكم بتقوىٰ اللهِ عز وجل والسمعِ والطاعةِ وإن تأمَّر عليكم عبدٌ، وإنه من يعِشْ منكم فسيرىٰ اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسُنَّةِ الخلفاءِ الراشدِين المهدِيِّينَ عَضُّوا عليها بالنواجذِ وإيَّاكم ومُحدثاتِ الأمورِ، فإنَّ كلَّ بدعةٍ ضلالةٌ)؛ رواه أبو داود والترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

فأمر ﷺ عندَ الافتراق والاختلاف بالتمسُّك بسنَّته وسنَّةِ الخلفاء الرَّاشدين من بعده، وأكد ذلك بقوله: (عَضُّوا عليها بالنواجذ) وهي الأضراس، كناية عن شدَّةِ التَّمسُّك بها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزُّمر: ٥٤].

ومَن عظَّم الله تعالىٰ طرح هواه، واتبع الكتاب والسنة، ونبذ ما سواهما، وهذه صفة أهل الإيمان واليقين والتقوىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ❁ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١ – ٥٢]. فإذا جاء الأمر من الله تعالىٰ في الكتاب أو السنة فلا مجال للاختيار أو التردد؛ بل يجب التسليم والانقياد والطاعة ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

والسمع والطاعة، والقبول والإذعان لنصوص الشرع هو سبيل أهل الحق والعدل والإيمان، وإن الإعراض عن الوحي أو معارضته أو مجادلته هو سبيل المنافقين، قال تعالىٰ: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ❁ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ❁ وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ

﴿أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ * إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٤٧ – ٥٢].

والتسليم لنصوص الوحي، هو الخضوع لها، والانقياد لأوامرها.



تعظيم السلف الصالح للنصوص الشرعية:

السلف الصالح من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، امتلأت قلوبهم إيمانا بنصوص الشريعة، فلا يسمع أحدهم نصّا إلا كان من المستسلمين له، المنقادين لما فيه من أمر أو نهي، ولذلك يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمة الله-: (وكان من أعظم ما أنعم الله به عليهم اعتصامهم بالكتاب والسنة، فكان من الأصول المتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم أنه لا يقبل من أحد قط أن يعارض القران لا برأيه ولا ذوقه ولا معقوله ولا قياسه، فإنه ثبت عندهم بالبراهين القطعيات، والآيات البيّنات أن الرسول جاء بالهدىٰ ودين الحق وأن القران يهدي للتي هي أقوم).

فالصحابة رضي الله عنهم يسمعون الآيات والأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيسلمون لها علىٰ الفور، ويصدقونها واقعا في حياتهم؛ أخرج البخاري أن النبي صلى الله عليه وسلم كان كُنَّا مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم وهو آخِذٌ بيَدِ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ، فَقالَ له عُمَرُ: يا رَسولَ اللهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن كُلِّ شيءٍ إلَّا مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: لَا، والذي نَفْسِي بيَدِهِ، حتَّىٰ أكُونَ أحَبَّ إلَيْكَ مِن نَفْسِكَ فَقالَ له عُمَرُ: فإنَّه الآنَ، واللهِ، لَأَنْتَ أحَبُّ إلَيَّ مِن نَفْسِي، فَقالَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم: الآنَ يا عُمَرُ..قالها عمر بدون تردد أو تفكير أو مشورة أو تأخير.

إن المؤمنين عظمت في قلوبهم نصوص الوحيين، حتىٰ إنه ليزعجهم أن تقابل آيات الله وأحاديث النبي ﷺ بحديث غيره من البشر؛ أخرج مسلم عن عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه حدث بحديث: الحياء كله خير، فقال أحدهم مقابلة للحديث: إنا لنجد في بعض الكتب أن سكينة ووقارا، ومنه ضعف! قال: فغضب عمران، فقال: أحدثك عن رسول الله وتحدثني عن صحيفتك؟! فأعاد عمران الحديث، ثم أعاد الرجل مقالته، فغضب عمران حتىٰ احمرت عيناه، فقيل له: إنه منا يا أبا نجيد، إنه لا بأس به، أي ليس ممن يتهم بنفاق أو زندقة.

ورد عن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قال: لمَّا استوىٰ رسولُ اللهِ ﷺ يومَ الجمعةِ قالَ: اجلسوا. فسمعَ ذلِكَ ابنُ مسعودٍ فجلسَ علىٰ بابِ المسجدِ فرآهُ رسولُ اللهِ ﷺ فقالَ: تعالَ يا عبدَ اللهِ بنَ مسعودٍ (رواه أبو داود).

وعن عبد الله بن مغفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: (نهىٰ رسول الله عن الخذف)، وهو رمي الحجارةِ الصغيرةِ بأصابعِ اليد و قال: إنها لا تصطادُ صيداً، و لا تنكأ عدواً و لكنها تفقأُ العينَ و تكسرِ السن، فقال رجلٌ لعبد اللهِ و ما بأس بهذا؟ فقال عبد الله إني أحدثك عن رسولِ اللهِ وتقولُ هذا و الله لا أُكلِمُكَ أبداً) (متفقٌ عليهِ).

وعن سالم بن عبد الله بن عمر: أن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: (لا تمنعوا نِساءَكُم المسَاجد إذا



استأذنَّ إليها، قال: فقال بلال بن عبد الله بن عمر: والله لنمنعهن، قال: فأقبل عليه عبدالله؛ فسبه سبـًا سيئـًا ما سمعته سبه مثله قط. وقال: أخبرك عن رسول الله وتقول: والله لنمنعهنَّ) (رواه مسلم).

وذكر السيوطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : أن هارون الرشيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ذكر عنده مرة حديثا عن النبي ﷺ وهو حديث: احتج آدم وموسىٰ، فقال رجل من وجهاء قريش: وأين لقي آدم موسىٰ؟ مستنكرا للحديث، فغضب الرشيد، وقال: النطع والسيف، النطع والسيف، زنديق يطعن في حديث النبي ﷺ.

قال من كان حاضرا: فما زلت أسكنه، أقول: يا أمير المؤمنين كانت منه نادرة، حتىٰ سكن.

وأَمثلةُ ذلكَ مما جاءَ عن الصحابةِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ كثيرةٌ جداً، وعلىٰ نَهجِهم سار أَتباعُهم ومن تبعهم من أَئِمة السَلفِ إلىٰ زماننا هذا.

فالتسليم لنصوص الكتاب والسنة ركن عظيم من أركان الدين، ولا تثبت قدم المسلم علىٰ الإسلام إلا علىٰ هذا الركن العظيم، ومن لم يسلم بالنصوص فإنه حقير، عن الدين القويم بعيد؛ دخل رجل علىٰ الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسأله عن مسألة، فأفتاه بحديث عن رسول الله ﷺ فقال الرجل: أتقول بهذا؟ فقال الشافعي مغضبا: أرأيت في وسطي زنارا؟ أتراني خرجت من كنيسة؟ أقول: قال النبي ﷺ وتقول لي: أتقول بهذا؟ ويحك أي أرض تقلني؟ وأي سماء تظلني إذا رويت عن رسول الله ﷺ

شيئا، فلم أقل به نعم، علىٰ الرأس والعين.

إنَّ تعظيمَ الربِّ -تعالىٰ- وتمجيدهِ مُستلزمٌ لتعظيمِ أَحكامِهِ ونصُوصِ شرعِهِ من القرآنِ والسُنةِ؛ قال الإِمامُ ابن القيمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أولُ مراتبِ تَعظيمِ الحقِ عَزَّوَجَلَّ تعظيمُ أَمرهِ ونهيهِ، فيكونُ تعظيمُ المؤمنِ لأمرِ اللهِ ونهيهِ دَالاً علىٰ تعظيمهِ لصاحبِ الأمرِ والنهي.



علامات تعظيم النصوص الشرعية:

إنَّ لتَعظِيمِ النُصُوصِ الشَرعيةِ من القُرآنِ والسُنةِ دَلالاتٌ وعلاماتٌ ومن هذه العلامات:

١/ حِفظُ النصِّ الشرعيِّ: فالله تعالىٰ تولَّىٰ حِفظَ الوحيِ حالَ إنزالِه من استراقِ كلِّ شيطانٍ رجيمٍ، وبعد إنزالِه أودعه الله في قلبِ رَسولِه ﷺ، واستودعه فيه، ثمَّ في قلوب أمَّته، وحَفِظ اللهُ ألفاظَه من التغييرِ فيه والزيادةِ والنقصِ، ثم كان حِفظُ سلفِ الأمةِ للنصِّ الشرعيِّ علىٰ نوعينِ: حفظِ صدورٍ، وحفظِ سطورٍ.

٢/ توقيرُ النصِّ الشرعيِّ: بالتعظيمُ العمليُّ المتمثِّلُ في احترام النصِّ الشرعيِّ، والوقوفُ عند مُقتضاه، وعدمُ التقدُّمِ بين يديه بقولٍ أو فعلٍ، وقد كانت حياةُ سلفِنا الصالح رضوان الله عليهم تعظيمًا عمليًّا للنصِّ الشرعيِّ، وتوقيرًا صادقًا بتحكيمِه في شتىٰ جوانبِ الحياةِ.

٣/ نُصرةُ النصِّ الشرعيِّ: وذلك بالذَّبِّ عن النصِّ الشرعيِّ ونُصرتِه ضدَّ خصومِه، ومن أبرزِ مواقف السلف في نصرة النص الشرعي ردَّهم علىٰ بدعةِ المعتزلةِ القائلةِ بخلقِ القرآنِ، وردَّهم علىٰ مقولةِ الرافضةِ بتحريفِ القرآنِ ونقصِه، وكذا مذهب المعتزلةِ في إقصاء السنَّة عمومًا، وعدمِ الاحتجاجِ بأخبار الآحادِ

في العقائدِ خصوصًا. وغيرها من المذاهبِ الباطلةِ.

٤/ فهمُ النصِّ الشرعيِّ: وسلفَنا الكرامَ كانوا شديدي العنايةِ بفهمِ النصوصِ الشرعيةِ، والغوصِ في أعماقِ معانيها، يقودُهم في ذلك تعظيمُهم للنصوصِ الشرعيةِ، وإجلالُهم لمكانتِها، وأنَّ هذا المَعلَمَ من معالمِ التعظيمِ للنصِّ الشرعيِّ لدى السلفِ تندرجُ فيه كلُّ جهودِهم العلميةِ المرويةِ والمصنَّفة في فهمِ الكتابِ والسنَّةِ.

٥/ خدمةُ النصِّ الشرعيِّ: والمتأمل يرى تفانيَ سلفِنا الصالحِ في خدمةِ النصِّ الشرعيِّ خدمةً علميةً من كل وجهٍ، ويشملُ ذلك حِفظَه ونشرَه، وتيسيرَ تناولِه، وتقريبَ أخذِه، وقد أثمر ذلك علومَ القرآنِ وعلومَ الحديثِ، وفي كلٍّ منهما من فنونِ العلمِ وتفاريعِه ما يخدُمُ النصَّ الشرعيَّ بمختلِفِ الوجوهِ.

٦/ ومن علاماتِ تَعظيمِ النُصُوصِ الشرعيةِ عَدمُ الاختيارِ أو المشورةِ في قبولِ حُكم الله تعالىٰ بل التَسليمُ الكَاملُ المطلَقُ دونِ ترددٍ أو شك، قال تعالىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (النساء:٦٥)، قال ابن كثيرٍ -رَحِمَهُ اللَّهُ-: فهذهِ الآيةُ عَامةٌ في جَميعِ الأمور. ذلكَ أنه إذا حَكمَ اللهُ ورسوله بشيءٍ فليسَ لأَحدٍ مخالفتُه. ولا اختيار لأحدها هاهنا ولا رأي ولا قول، مع عَدمُ وجودِ الحَرجِ عند سَماعِ النَصِ الشَرعيِّ ويتأكدُ هذا عند تطبيقهِ فدلت الآية علىٰ وُجُوبِ الانقيادِ لحكمِ اللهِ ظَاهراً

وباطنـًا بِرحابةِ صدرٍ وطُمأنينةِ نفس.

٧/ عَدمُ التَنَطُعِ في البَحثِ عن الحِكمَةِ أَو ضَربِ الأحاديثِ ببعضها لنقضها، فتلكَ الصِفةُ تُنافي كَمالَ التَسليمِ والانقيادِ لله. بل قَد يَستَمرِئُ صَاحِبَهَا ذلكَ فتجرهُ إلىٰ الاعتراضِ علىٰ بَعضِ الأَحكَامِ الشرعيةِ إلا حَينَ يعلمَ الحِكمةَ مِنها، فالواجبُ علىٰ المسلمِ الإمساكُ والتأدبُ مع مقامِ التشريعِ؛ فالله -عَزَّوَجَلَّ- لا يُسأل عمَّا يفعلُ وهم يُسألون، ولهذا لم يحكِ اللهِ -سُبحَانهُ- عن أُمةِ نبيٍّ صدقت بِنبيِّها وآمنت بِما جاءَ بِه أَنها سألتهُ عن تفاصيلِ الحكمةِ فيما أَمَرَها بِهِ ونَهاها عنه وبَلغها عن ربِها ولو فعلت ذلكَ لما كانت مؤمنةً بِنبيِّها.

٨/ من عَلاماتِ تَعظيمِ النصوصِ الشرعيةِ الغضبُ لله تعالىٰ إذا انتُهِكَت محارمُ اللهِ ومُحاولةُ التغيير ما استطاعَ المرءُ إلىٰ ذلكَ سبيلاً، عن عائشة قالت: ما خُيِّر رسولُ الله بين أمرينِ إلا اختارَ أَيسرهُما ما لم يكن إثمـًا، فإن كان إثمـًا كان أبعد الناس منه، وما انتقم رسول الله لنفسه إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها (أخرجه البخاري)؛ فمتىٰ كان العبدُ غيوراً علىٰ محارمِ اللهِ مُسَارعـًا إلىٰ إنكارِها وإصلاحِ أَهلِها كانَ ذلكَ دَليلاً علىٰ تَعظيمهِ للنصوصِ الشرعيةِ ومُراعاةِ حُدودِها وآدابِها.

٩/ ومن علاماتِ تَعظيمِ النصوصِ الشرعيةِ؛ أن يُمسِكَ الإنسانُ عَما ليسَ لهُ بهِ عِلمٌ وأن يَحذرَ مِن الخوضِ في ذلكِ وأن

يَجعلَ نُصبَ عينيهِ قوله تعالىٰ فالخوضُ في معاني كلامِ اللهِ وكلامِ رسولهِ دونَ درايةٍ أو سُؤالٍ، من القولِ علىٰ الله بِلا عِلمٍ وهذا من الذنبِ العظيمِ فَضلاً عمَّا يَجُرهُ من المفاسدِ، من ضِلالِ الآخرينَ وإِضلالِهم.





رابعاً: تعظيم شهر رمضان

من القواعد المقررة شرعـًا وجوبُ تعظيم شعائر الله، يقول الله تعالىٰ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ (سورة الحج الآية ٣٢). ففي هذه الآية حث الله علىٰ تعظيم شعائره، وجعله من التقوىٰ فما هي شعائر الله؟

قال الإمام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ﴾ الشعائر جمع شعيرة، وهو كل شيءٍ لله تعالىٰ فيه أمرٌ أشعر به وأعلم فشعائر الله أعلام دينه.

وقال الشيخ السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (أي أعلام دينه الظاهرة، التي تعبّد الله بها عباده، وشعائر جمع شعيرة بمعنىٰ علامة. وتعظيم شعائر الله من تقوىٰ القلوب، والتقوىٰ واجبة علىٰ كل مكلف).

ورد عن كعب الأحبار رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: (إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ اختار ساعات الليل والنهار فجعل منهن الصلوات المكتوبة، اختار الأيام فجعل منها يوم الجمعة، واختار منها الشهور، فجعل منها رمضان، واختار الليالي، فجعل منها ليلة القدر، واختار البقاع فجعل منها المساجد). رواه أبو نعيم في الحلية.

وشعائر الله منها المكانية كالمساجد عمومـًا والحرمين

والمسجد الأقصىٰ خصوصـًا، ومنها الشعائر الزمانية كشهر رمضان وليلة القدر، وعشر ذي الحجة والأشهر الحرم.

وتعظيم شعائر الله من تعظيم الله، ويكون تعظيمها بإجلالها وإحلالها مكانـًا رفيعـًا في القلب، وأداء العبادات فيها بمحبةٍ وخوف ورجاء، دونما تضجر أو تثاقل، مع تكميل العبودية فيها بلا تهاون أو تكاسل.

وتعظيم الشعائر من علامات سلامة القلوب وصلاحها، وفلاح أصحابها بإذن الله.

ومن الشعائر الزمانية التي لا تخفىٰ علىٰ الجميع شهر رمضان، وربنا بين لنا أن من أهم حِكم الصيام تحقيق التقوىٰ كما قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣).

فالواجب علىٰ المسلم أن يُعظِّم حُرمة شهر رمضان، فقد ورد عن أبي سعيد رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم (من صام رمضان وعرف حدوده، وتحفّظ مما ينبغىٰ له أن يتحفّظ كفّر ما قبله) رواه: ابن حبّان والبيهقىٰ

وتعظيمَ شهر رمضان، إنما هو تعظيمٌ لركنٍ من أركان الدِّين، لأن صومَ شهر رمضان أحدُ الأركان الخمسة التي بُني عليها الإسلام، وإن انتهاك حرمة رمضان طريقٌ موصلٌ بالتأكيد إلىٰ غضب الجبار جَلَّ جَلَالُهُ.

ولقد خصَّ الله شهر رمضان بفضائل عظيمة، كوجوب الصيام فيه، كما قال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَىٰ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وكنزول القرآن فيه كما قال تعالىٰ ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًىٰ لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وكفىٰ بذلك شرفًا وفخراً.

وكاختصاصه بليلة هي خير من ألف شهر وهي ليلة القدر، قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ، تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ، سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾.

والواجب علىٰ المسلم أن يُعظِّم ما عظَّم اللهُ عَزَّوَجَلَّ، فيعظِّمَ شعائرَ الله وشرائعَه، ويعظِّمَ حُرماتِ الله، ويعظِّمَ حُرمة شهر رمضان.

فأعلام الدين الظاهرة في رمضان، من الصلاة والصيام والقيام، وتلاوة القرآن، وليلة القدر من شعائر الله، فمن عظم هذه الشعائر فتعظيمه لها صادر عن تقوىٰ قلبه.

فالمعظم لها يبرهن علىٰ تقواه، وصحة إيمانه؛ لأن تعظيمه لها تابع لتعظيم الله جَلَّجَلَالُهُ.

ومن عرف الله عَزَّوَجَلَّ حق المعرفة عظّمه، ومن عظّم الله، عظم كل ما جعله الله معظمـاً، ووقف عند حدود ما شرع الله عَزَّوَجَلَّ.

والصيام في ذاته تعظيم للشعيرة الزمانية: رمضان.

وكذلك القيام وتلاوة القرآن، ومن قام ليالي رمضان وخاصة ليالي العشر فقد عظم هذه الشعيرة الزمانية بشعيرة عملية هي القيام.

وهكذا تجد شعائر الله تعظيم بعضها سائق إلىٰ تعظيم بقية الشعائر.

وأن انتهاك حرمة رمضان بأي شكلٍ من الأشكال من المحرمات.

ونحن بحاجة إلىٰ إعادة النظر في نفوسنا، ومدىٰ تعظيمها لشعائر الله عَزَّوَجَلَّ وحرماته، فربنا - تعالىٰ- يقول: ﴿ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَىٰ الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فتقوىٰ القلوب، والخيرية عند الله معلقة بمدىٰ معرفتنا بقدر ربنا عَزَّوَجَلَّ، وقدر ما عظمه ربنا سبحانه.

ومن عظّم رمضان أناله الله عظيم الأجر والثواب.

واقرأ ليمتلئ قلبك تعظيماً لهذا الشهر أحاديث النبي ﷺ في رمضان وفضله وفضل القيام فيه ووجوب صومه.

قال ﷺ: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (متفق عليه).

وقال ﷺ: (من قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه) (متفق عليه).

وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: دخل رمضان فقال رسول الله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (إنَّ هذا الشَّهرَ قد حضركم وفيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ من حُرِمها فقد حُرِم الخيرَ كلَّه ولا يُحرمُ خيرَها إلَّا محرومٌ) (أخرجه ابن ماجة).

وفي رواية: (أتاكم شهرُ رمضانَ شهرٌ مباركٌ فرض اللهُ عليكم صيامَه تُفتَّحُ فيه أبوابُ السَّماءِ وتُغلَّقُ فيه أبوابُ الجحيمِ وتُغلُّ فيه مردةُ الشَّياطينِ للهِ فيه ليلةٌ خيرٌ من ألفِ شهرٍ من حُرم خيرَها فقد حُرم) (رواه النسائي وصححه الألباني).

وإذا صلح القلب وعرف قدر رمضان جاء العمل، فعظّم رمضان بصيام أيامه وقيام لياليه، وتلاوة القرآن، وكثرة الذكر، والإحسان إلىٰ الخلق بالصدقات والصلة، وغير ذلك.

واعلم أن هذا لا يجتمع مع اشتغال القلب بالمحرمات، ورؤيته للمنكرات فاهجر ما حرّم الله.

واقرأ قول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وفي رمضان لا بد من تربية الأسرة بأكملها علىٰ تعظيم شهر رمضان، وإحياء روح العبودية لله تعالىٰ فيه بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، وتعظيم شعائره كما يحب ويرضىٰ.

وتعظيم الشعائر لا يكون بالإقبال علىٰ الطاعات والاستزادة منها فقط، ولكن بتجنب ما حرم الله تعالىٰ في هذه الأوقات

والأماكن لأنها تختص بالعبادات أكثر من غيرها؛ ولذلك يكون ارتكاب المعصية فيها أشد قبحًا وأعظم وزراً من ارتكابها في غيرها من الأوقات والأماكن.



تعظيم السلف الصالح لشهر رمضان:

من صفات سلفنا الصالح رحمهم الله تعالىٰ: تعظيم ما عظمه الله ورسوله ﷺ من الأمكنة والأزمنة والأيام والشهور والعبادات والأخلاق والمعاملات وغير ذلك، وما هذا إلا لتعظيم الله عَزَّوَجَلَّ في قلوبهم، فلذلك عاشوا لله وبالله وفي الله، فأحبوا ما أحبه الله، وكرهوا ما أبغضه، وعظموا ما عظمه، فاستحقوا بذلك أن يكونوا جيلاً فريدًا أدرك كل فضيلة، وسبق في كل ميدان.

ومما عظمه السلف الصالح رضوان الله عليهم من أمر الدين: شهر رمضان المبارك، لما ورد فيه من الفضائل الكثيرة والكنوز العظيمة التي اجتهد السلف غاية الاجتهاد في تحصيلها والفوز بها، لينالوا بذلك كرامة الدنيا والآخرة، وليكون هذا الشهر الفضيل شاهدًا لهم يوم القيامة.

عن عبد الله بن عكيم، قال: كانَ عمرُ بنُ الخطَّابِ إذا دخَلَ شهرُ رمَضانَ صلَّىٰ صَلاةَ المغربِ ثُمَّ تشهَّدَ فخَطب خُطبَةً خَفيفةً، ثُمَّ قال: أما بعدُ فإنَّ هذا الشَّهرَ شهرٌ كتَبَ اللهُ عليكُم صيامَهُ ولم يكتُبْ عليكُمْ قيامَهُ.

مَن استطاع منكُم أن يقومَ فإنَّها مِن نوافِلِ الخيرِ الَّتي قال اللهُ تعالَىٰ، ومَن لَم يستَطِعْ منكُم أن يقومَ فلينَم علىٰ فراشِهِ، وليتَّقِ منكُم إنسانٌ أن يقولَ: أصومُ إن صامَ فلانٌ وأقومُ إن قامَ فلانٌ، مَن

صامَ منكُم أو قامَ فليجعَلْ ذلكَ للهِ تعالَىٰ (المحدث : ابن كثير المصدر : مسند الفاروق / حكم المحدث : إسناده جيد حسن)

ورمضان كان في نفوس السلف طوال العام، وهذا دليل علىٰ تعظيمهم لهذا الشهر، ومما يدل علىٰ ذلك قول معلىٰ بن الفضل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (كانوا يدعون الله تعالىٰ ستة أشهر أن يبلغهم رمضان، ويدعونه ستة أشهر أن يتقبل منهم).

عن الحسن بن أبي الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ ؛ أنه مرَّ بقوم وهم يضحكون فقال: (إن الله عَزَّوَجَلَّ جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه)، -والمضمار هو الميدان الذي يتسابق فيه المتسابقون بالخير وغيره- (يستبقون فيه لطاعته فسبق قوم ففازوا، وتخلف قوم فخابوا، فالعجب كلُّ العجبِ للضاحك اللاعب في اليوم الذي فاز فيه السابقون، وخاب فيه المبطلون، أما والله لو كشف الغطاء؛ لاشتغل المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته).

وكان الشبلي إذا دخل شهر رمضان جَدَّ فوق جد من عاصره، ويقول: (هذا شهر عظمه ربي، فأنا أول من يعظمه).

وخلاصة رمضان السلف: الإمساك عن تعاطي جميع المفطرات الحسية والمعنوية، وفعل ما يرضي الله، يحتسبون نومتهم كما يحتسبون قومتهم، يتنافسون في الطاعات والقربات، ويفرون من مقاربة المعاصي والسيئات، يحفظون صيامهم من جميع المفطرات، يعملون بكتاب الله وسنة رسوله، ويوصي بعضهم بعضًا بأن لا يكون يوم صوم أحدهم كيوم فطره.

كيف يكون تعظيم شهر رمضان:

١/ من تعظيم شهر رمضان الاستبشار بقدومه، وهذا يأتي في إطار تعظيم شعائر الله، كما قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾، لا سيما في منعكساته الإيجابية علىٰ المسلمين في تقوية الإيمان، والنهوض بالعبادات علىٰ النحو المطلوب.

ومن هنا ينبغي أن يفرح المؤمنون بقدوم شهر رمضان، ويستبشروا بحلوله ضيفًا كريمًا بينهم، في أيام معدودات، ويحمدوا الله أن بلَّغهم إياه، ومن ثَمَّ فإن عليهم أن يعقدوا العزم علىٰ تعميره بالطاعات، والإكثار من العمل الصالح، وهجر السيئات، تمشيًا مع التوجيه الرباني: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (يونس:٥٨)، ذلك أن محبة الأعمال الصالحة، والاستبشار بها، مناط رضا الله تعالىٰ.

وسلفنا الصالح من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم إحسان يهتمون بشهر رمضان، ويفرحون بقدومه.

فكانوا يصومون أيامه، صيام الحافظ لشعيرة الصيام من البطلان، والنقص، فتجدهم يفرون من اللغو واللهو واللعب والغيبة والنميمة والكذب.

وكانوا يحيون لياليه بالقيام، وتلاوة القرآن، وكانوا يتعاهدون فيه الفقراء، والمساكين بالصدقة والإحسان، وإطعام الطعام وتفطير الصوّام.

فرمضان شعيرة عظيمة من شعائر الله، وهو شهر ملئ بشعائر عملية يعظم بها الله عَزَّوَجَلَّ.

٢/ يكون بالاجتهاد فيه بسائر أنواع الطاعات، والابتعاد عما يخدش التقوىٰ، ويضيع أجر الصوم، والتفرغ للعبادة فيه بأنواعها، من صيام وصلاة وقيام وصدقة وقراءة قرآن، وتفطير صائمين وبِّر بالوالدين وصلة رحم، وكف أذىٰ اللسان وغض البصر، وغير ذلك من العبادات الفعلية أو التَرّكية.

٣/ الوقوف عند حدوده، وإجلال أمر الله تعالىٰ ونهيه، وترك الطعام والشراب بعض ذلك وليس كله عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه) (رواه أبو داود وصححه الألباني).

وهذه حقيقة تغيب عن كثير من الصائمين، وتفوت علىٰ مفاهيم كثير من العباد ويعتقدون حين تمسي بطونهم خماصًا أنهم نالوا كل شيء، وقد تكون النتيجة بخلاف ما يعتقدون، ورد في الحديث: (رُبَّ صائمٍ حظُّهُ مِن صيامِهِ الجوعُ والعطَشُ، ورب قائم حظه من قيامه السهر) (صحيح الترغيب والترهيب).

ومن أهم الأمور صيانة اللسان عن آفاته كلها، وخصوصًا

الغيبة، لأن هذه المعصية تجرح الصيام وتفرغه من مضمون التقوىٰ، وعظيم الأجر.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال:(إذا صمتَ فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب و المأثم، ودع أذىٰ الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك، ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: (إن شئت فقل: الزور: كل قول محرم؛ لأنه ازورَّ عن الطريق المستقيم.) ولعل هذا هو المعنىٰ العام الذي فهمه العلماء الذين رووا حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال الغزالي رحمه الله: (ولا تظن إذا صمت أن الصوم هو ترك الطعام والشراب والوقاع فقط.. بل تمام الصوم بكف الجوارح كلها عما يكره الله تعالىٰ، بل ينبغي أن تحفظ العين عن النظر إلىٰ المكاره، واللسان عن النطق بما لا يعنيك، والأذن عن الاستماع إلىٰ ما حرم الله تعالىٰ، فإن المستمع شريك القائل، وهو أحد المغتابين).

٤/ ومن تعظيم شهر رمضان أن ينظر إليه علىٰ أنه مما كتبه الله علىٰ عباده وفرضه عليهم، وكل أمرٍ كتبه الله وفرضه فلا بد من تعظيمه.

٥/ ومن تعظيم شهر رمضان، أن تنظر إلىٰ الصيام علىٰ أنه من عظيم باب الرحمات، لما فيه من عظيم الأجور في كثير من

الطاعات، إذ أن الصيام كما جاء في الحديث (من صام رمضان إيمانـًا واحتسابـًا غفر له ما تقدم من ذنبه) (متفق عليه)، والقيام كما في الحديث (من قام رمضان إيمانـًا واحتسابـًا غفر له ما تقدم من ذنبه) (متفق عليه)، وقيام ليلة القدر كما في الحديث :(من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) (متفق عليه).





خامساً: تعظيم ليلة القدر

ومن مظاهر تعظيم الله في رمضان تعظيم ليلة القدر، وهي أعظم ليالي السنة، وسماها الله تعالىٰ ليلة القدر لعظم قدرها وجلالة مكانتها وعلو شرفها بين الليالي عند الله ولكثرة مغفرة الذنوب وستر العيوب فيها فهي ليلة المغفرة، وتجدر الإشارة إلىٰ أنّ الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ اصطفىٰ من البشر محمداً ﷺ؛ ليكون رسولاً للبشريّة، واصطفىٰ من الشهور رمضان، ومن الليالي ليلة القدر.

واستمدت هذه الليلة عظمتها من عدة أمور هي:

١/ نزول القرآن العظيم فيها كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ (القدر:١)، وسميت ليلة القدر من باب التعظيم لأنها ذات قيمة وقدر ومنزلة عند الله تعالىٰ لنزول القرآن فيها كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ (الدخان:٣).

٢/ كون العبادة في ليلة القدر أفضل عند الله من العبادة في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر وذلك لقوله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ﴾ وفي هذا تنويهـاً بشأنها، وإظهاراً لعظمتها. ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ﴾، أي ثواب قيامها أفضل من ثواب العبادة لمدة ثلاث وثمانين سنة وثلاثة أشهر تقريباً.

ومعنىٰ كونها خير من ألف شهر، بيان فضلها وأن العبادة فيها مضاعفة كعبادة العابد في ألف شهر، فمن قامها فكأنها قام ألف شهر، ومن ذكر الله فيها أو قرأ القرآن أو دعا فكذلك، وهذا من فضل الله تعالىٰ علىٰ هذه الأمة، لما كان أعمارهم أقل وأجسادهم أضعف، عوضهم الله تعالىٰ بمضاعفة الأجر في هذه الليلة والله اعلم.

٣/ نزول جبريل والملائكة عليهم السلام فيها كما قال تعالىٰ: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾، وهذا يدل علىٰ عظم شأنها وأهميتها لأن نزول جبريل والملائكة لا يكون إلا لأمر عظيم، ويكثر تنزل الملائكة في هذه الليلة لكثرة بركتها، والملائكة يتنزلون مع تنزل البركة والرحمة.

وقوله تعالىٰ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾ أيّ لا تنزل هذه الملائكة والروح إلا بإذن من الله.

٤/ كون تلك الليلة سلام حتىٰ طلوع الفجر كما قال تعالىٰ: ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾، فهي ليلة خالية من الشر والأذىٰ، وتكثر فيها الطاعة وأعمال الخير والبر، وتكثر فيها السلامة من العذاب، ولا يخلص الشيطان فيها إلىٰ ما كان يخلص في غيرها، فهي سلام كلها، وهذا يدل علىٰ ما فيها من خير عميم وبركة عظيمة، وفضل ليس له مثيل.

٥/ كونها الليلة المباركة كما سمها ربنا بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (الدخان:٣)،

ووصفها بالبركة لما ينزل الله فيها علىٰ عباده من البركات والخيرات والثواب الشيء الكثير، وتنكير(ليلة) للتعظيم، ووصفها ب (مباركة) تنويه بها وتشويق لمعرفتها، وكم لها من بركات للمسلمين في دينهم، ولعل تلك البركة تسري إلىٰ شؤونهم الصالحة من أمور دنياهم، فهذه الليلة هي الليلة التي ابتدُىء فيها نزول القرآن علىٰ محمد ﷺ في الغار من جبل حِرَاءٍ في رمضان، وهي ليلة القدر.

٦/ كون قيامها سبب لمغفرة الذنوب، فالعبادة فيها له قدر عظيم، كما ورد الحديث عن النبي ﷺ قال: (من قام ليلة القدر إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه) متفق عليه، فمن قامها ينال بذلك قدرًا لم يكن ناله قبلها، وترفعه شرفًا عند الله تعالىٰ، فعمل العبد فيها ذو قدرٍ عظيم، ففضل هذه الليلة عظيم لمن أحياها، وإحياؤها يكون بالصلاة، وقراءة القرآن، والذكر، والاستغفار، والدعاء وغير ذلك من العبادات، من غروب الشمس إلىٰ طلوع الفجر، مع صلاة التراويح والتهجد في وقت السحر.

٧/ أنه يقدر فيها ما يكون في تلك السنة، فيكتب فيها ما سيجري في ذلك العام، وهذا من حكمة الله عَزَّوَجَلَّ وبيان إتقان صنعه وخلقه، قال تعالىٰ: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ أي تقدّر في تلك الليلة مقادير الخلائق علىٰ مدىٰ العام، فيكتب فيها الأحياء والأموات والناجون والهالكون والسعداء والأشقياء والعزيز

والذليل والجدب والقحط وكل ما أراده الله تعالىٰ في تلك السنة.

٨/ اجتهاد النبي ﷺ في ليالي العشر تحرّي لليلة القدر، فقد (كان النبي ﷺ يجتهد في العشر الأواخر من رمضان، ما لا يجتهد في غيرها) رواه مسلم، ومن ذلك أنه(كان يعتكف فيها ويتحرىٰ ليلة القدر خلالها) رواه البخاري ومسلم، وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي ﷺ: (كان إذا دخل العشر أحيا الليل وأيقظ أهله وشد مئزره) رواه البخاري ومسلم، و زاد مسلم: وجَدَّ وشد مئزره.

٩/ تخصيصها بدعاء معين كما ورد عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت، قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما اقول فيها؟ قال: قولي (اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عني) (رواه الترمذي وصححه الألباني)، قال ابن رجب: وإنما أمر بسؤال العفو في ليلة القدر بعد الاجتهاد في الأعمال فيها و في ليالي العشر لأن العارفين يجتهدون في الأعمال ثم لا يرون لأنفسهم عملا صالحا ولا حالا ولا مقالا فيرجعون إلىٰ سؤال العفو كحال المذنب المقصر.

١٠/ تحذير النبي ﷺ من الغفلة عن ليلة القدر وإهمال إحيائها، فيحرم المسلم من خيرها وثوابها، فيقول لأصحابه، وقد أظلهم شهر رمضان: (إن هذا الشهر قد حضركم، وفيه ليلة خير من ألف شهر، من حُرِمَها فقد حُرِم الخيرَ كله، ولا يُحرم خيرها إلا محروم). (رواه ابن ماجه وحسنه الألباني في صحيح الجامع الصغير).

تعظيم السلف الصالح لليلة القدر:

كان السلف الصالح من الصحابة والتابعين يُعظمون ليلة القدر التي شرفها الله ورفع قدرها، فكانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليالي العشر الأواخر، ومنهم من كان يغتسل ويتطيب في الليالي التي تكون أرجىٰ لليلة القدر، فلا يصلح لمناجاة الملك في الخلوات إلا من زين ظاهره و باطنه.

قال ابن جرير: كانوا يستحبون أن يغتسلوا كل ليلة من ليال العشر الأواخر.

وكان النخعي يغتسل في العشر كل ليلة.

وكان تميم الداري له حلة اشتراها بألف درهم، كان يلبسها في الليلة التي يرجىٰ أنها ليلة القدر.

وقال حماد بن سلمة: كان ثابت البناني وحميد الطويل يلبسان أحسن ثيابهما ويتطيّبان، ويطيبون المسجد بالنضوح والدخنة في الليلة التي ترجىٰ فيها ليلة القدر.

وكان قتادة يختم القرآن في كل سبع دائمًا، وفي رمضان في كل ثلاث، وفي العشر الأواخر في كل ليلة، وذلك تحرياً لليلة القدر.

قال سفيان الثوري: أحب إلي إذا دخل العشر الأواخر أن يتهجد بالليل ويجتهد فيه، وينهض أهله وولده إلىٰ الصلاة إن

أطاقوا ذلك، وهذا التوجيه حرصًا علىٰ إدراك ليلة القدر.

فليلة القدر تعلّمنا كم أحب الله كلامه، وكيف عظم كتابه، فكلّ تعظيم لهذه الليلة هو بسبب عظمة القرآن حيث نزل فيها. والشأن في ليلة القدر ليس مجرد اغتنامها، ولكن استشعار نعمة الله علينا بها، حيث نزل فيها القرآن الكريم الكتاب الخاتم، فعلينا أن نعلم أن شرفها وما فيها من فضل بسبب نزول القرآن فيها، وما عُظّمت إلا لأجل القرآن، فابحث عن حالك مع القرآن؟

وعُظِّمت ليلة القدر لأجل اقتراب رحمة الله من عباده بنزول القرآن الكريم، والذي فيه منهج متكامل، و فيه صلاح أمورهم في الدنيا والآخرة، فإن كان ليل يُعظّم، وملائكة تتنزل، وليلة تقام إلىٰ قيام الساعة كلها بسبب نزول القرآن فيها، فكيف بقلب نزل فيه القرآن؟

فينبغي أن نحمد الله تعالىٰ أنه شرح صدورنا للقرآن، فاستبشر بإدراك ليلة القدر لأنها ما عُظّمت إلا لأجل كتاب الله، ومن يعظم كتاب الله ينل الأجر والثواب، فاستحيي من الله أن تكون في ليلة القدر علىٰ حال لا يحبه. وأصلح ما بينك وبين القرآن، لأن هذه الليلة ما عُظّمت إلا لنزول القرآن فيها، فقيام ليلة القدر دليل علىٰ الإيمان بالغيب ودليل علىٰ تصديق كلام الله وجزائه.

وقيام ليلة القدر يحصل بالصلاة فيها إن كان عدد الركعات قليلاً أو كثيرًا، ومن يسَّر الله له أن يدعو بدعوة في وقت ساعة

رؤيتها كان ذلك علامة الإجابة، فكم من أناس سعدوا من حصول مطالبهم التي دعوا الله بها في هذه الليلة ثم قال الله: ﴿تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، فينزلون بكل أمر قضاه الله في تلك السنة من أرزاق العباد وآجالهم إلىٰ قابل، وليس الأمر كما شاع بين كثير من الناس من أن ليلة النصف من شعبان هي الليلة التي توزع فيها الأرزاق والتي يبين فيها ويفصل من يموت ومن يولد في هذه المدة إلىٰ غير ذلك من التفاصيل من حوادث البشر، بل تلك الليلة هي ليلة القدر كما قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ترجمان القرآن فإنه قال في قول القرآن: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ(٣) فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾، هي ليلة القدر، ففيها أنزل القرآن وفيها يفرق كل أمر حكيم أي كل أمر مُبْرَم، أي أنه يكون فيها تقسيم القضايا التي تحدث للعالم من موت وصحة ومرض وغنىٰ وفقر وغير ذلك، مما يطرأ علىٰ البشر من الأحوال المختلفة من هذه الليلة إلىٰ مثلها من العام القابل. ثم قال الله: ﴿سَلامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ فليلة القدر سلام وخير علىٰ أولياء الله وأهل طاعته المؤمنين ولا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو أذىٰ، وتدوم تلك السلامة حتىٰ مطلع الفجر.

كيف يكون تعظيم ليلة القدر:

١/ الحرص على الاعتكاف لليالي العشر كما كان عليه الصلاة والسلام يعتكف في العشر الأواخر تحرّيًا ليلة القدر.

٢/ الحرص على قيام هذه الليالي إيمانًا واحتسابًا، وكثرة الطاعات فيها تحريًا لليلة القدر.

٣/ الحرص على الاغتسال ولبس أحسن الثياب والتطيب في الليالي التي يرجى أن تكون ليلة القدر، ولو طبق ذلك في ليالي العشر كلها لكان حسنًا.

٤/ كثرة الدعاء وخاصة بما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت، قلت يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلة ليلة القدر ما اقول فيها ؟ قال: قولي (اللهم إنك عفو تحب العفو فأعف عني) (رواه الترمذي وصححه الألباني)، وكان أكثر دعاء النبي في رمضان وغيره)ربّنا آتنا في الدنيا حسنةً وفي الآخرة حسنةً وقنا عذاب النار).

٥/ إيقاظ الأهل للاجتهاد في العبادة، كما ورد عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كانَ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم إذا دَخَلَ العشرُ أحْيَا الليلَ، وأيقَظَ أهلَهُ، وجَدَّ، وشَدَّ الْمِئْزَرَ) رواه البخاري ومسلم.



ختاماً

نسأل الله الذي جل في قدرته، وتعالىٰ في عظمته، ان يملأ قلوبنا بحبه وتعظيمه وإجلاله، وأن يجعلنا ممن علم فعمل، وأناب إليه فرُحم، وأن يشملنا بعفوه وإحسانه.

وأن يجعلنا ممن يستمسك بوحيه، ويستعصم بحبله، ويهتدي بهديه ويقدره حق قدره..

والحمد لله رب العالمين.

المحتوى